أجرى المقابلة: أنطوان شلحت وبلال ضاهر

### مع أحد كتاب "أدب النهايات" الإسرائيلي

# يغئال سارنا: الطريق الحالية تقود إلى جهنم!

*** الفانتازيا أو الواقع المتخيل أو الافتراضي بات أقوى حتى من الواقع نفسه* هل حقيقة أننا نقتل الفلسطينيين بواسطة طائرة لا بسكين أو فأس، تجعلنا أكثر إنسانية من "داعش"؟ إنها تجعل القتل أكثر أوروبية وحسب***

يعتبر يغئال سارنا الصحافي في "يديعوت أحرونوت" واحداً من ألمع الصحافيين في إسرائيل. وهو يعرّف نفسه، كما يؤكد في سياق هذه المقابلة، بأنه استقصائي، وبأن هذا المسار يسعفه في الاستدلال على التيارات العميقة داخل المجتمع الإسرائيلي وخاصة في كل ما يتعلق بوجهة إسرائيل في المستقبل وبعلاقتها مع الفلسطينيين.

وفضلاً عن تحقيقاته الاستقصائية التي تشكل شهادات مهمة على الواقع الإسرائيلي، يكتب سارنا الرواية، وكان آخرها رواية بعنوان "٢٠٢٣" تنتمي إلى جانر الأدب الديستوبي الذي ينحو منحى الرؤيا القيامية [ديستوبيا أو ضد اليوتوبيا هو مفهوم فلسفي عكس فكرة اليوتوبيا، فالديستوبيا هو المكان السيء الكئيب الذي يوجد فيه الفقر والظلم والمرض].

وقبلها كتب رواية عبارة عن عمل أدبي وثائقي تحمل عنوان "عميل مشبوه" تتضمن سيرة حياة سامي هوخبرغ، أحد مؤسسي مستوطنة نس تسيونا التي أُقيمت على أراض اشتُريت من قرية وادي حنين الفلسطينية في محافظة الرملة بدءاً من العام ١٨٨٣، والذي تربطه به صلة قربى لكن بعيدة.

وهوخبرغ هذا وُلد العام ١٨٦٩ في إحدى مدن جمهورية مولدافيا الحالية لأسرة يهودية إقطاعية، وبتأثير أفكار حركة "محبي صهيون" هاجر بمفرده إلى فلسطين العام ١٨٨٩ ثم أقنع

عائلته كلها بالهجرة إليها وشراء أرض فيها لتوسيع نواة المستوطنة المذكورة، لكنه سرعان ما انتقل منها إلى دول أخرى إلى أن استقر به المقام في الأستانة، عاصمة الإمبراطورية العثمانية، حيث التقى زئيف جابوتينسكي، زعيم "التيار التنقيحي" في الحركة الصهيونية، وأسسا معاً إلى جانب شخصيات أخرى شبكة صحف عملت في دفع أفكار الحركة الصهيونية قدماً عن طريق إقناع زعماء العثمانيين بأن الحركة الصهيونية ستكون موالية لإمبراطوريتهم، ومع بداية ظهور مؤشرات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤– ١٩١٨) تنقل كثيراً في كل من برلين وفيينا وباريس وسائر أنحاء أوروبا، وكذلك في الشرق الأوسط، إلى أن قضى مسموماً العام ١٩١٧ في أحد مطاعم الأستانة عن عمر يناهز الـ ٤٦ عاماً، ولا يزال مكان دفنه مجهولاً.

ويشير سارنا إلى أن هوخبرغ غُيّب عمداً من "البانثيون" الإسرائيلي، على الرغم من أن مساهمته في إقامة "إحدى المستوطنات اليهودية القديمة" تبدو كبيرة ومهمة، وذلك لأنه كان من دعاة التقارب مع العثمانيين وفيما بعد مع الألمان، ومثل هذه الدعوة لم تحظ آنذاك بتأييد واسع في أوساط "اليشوف" اليهودي في فلسطين، ويُشار إليه في السرديات الصهيونية الرسمية فقط من خلال تقرير كتبه العام ١٩١٣ حول الحركة القومية العربية ورفعه إلى القيادة الصهيونية، وشدّد فيه على أنه يتعيّن على هذه القيادة أن تستوعب "أهمية التقارب مع الحركة القومية العربية"، وعلى أنه في حال إقدامها على ذلك يمكنها أن تحول دون ما أسماه "تطرّف" هذه الحركة الأخيرة إزاء المشروع الصهيوني، بل إنه اشترك بصفة مراقب في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في حزيران ١٩١٣ في العاصمة الفرنسية باريس والذي أسسته مجموعة من المفكرين والسياسيين القوميين العرب وكان يهدف إلى "البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الأرض المترعة بدم الآباء العظام ورفات الأجداد الأباة من عادية الأجانب وإنقاذها من صبغة التسيطر والاستبداد وإصلاح أمورنا الداخلية"، بحسب ما ورد في بيانه التأسيسي، وحاول أن يتوصل في أثنائه إلى تفاهمات بين الحركة الصهيونية والعرب، لكن محاولته باءت بالفشل.

وشكلت أعمال سارنا الأدبية ورؤيته للواقع الإسرائيلي أساس هذه المقابلة معه التي جرت في شقته في تل أبيب وبدأنا بها بسؤاله عن سيرة حياته، فأجاب قائلاً:

"ولدت في تل أبيب في العام ١٩٥٢. وقبل ذلك بعشرين عاما جاء والداي إلى البلاد من بولندا، وقد جاء كل منهما على حدة، كطالبين– طلائعيين في فترة الانتداب، وتعرفا على بعضهما في العام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠. وأنا ولدت في شهر أيار، في تاريخ قريب مما يسمى عندنا 'يوم الاستقلال'، في ١٥ أيار. وفي الواقع، فقط بعد مرور عدة أعوام أدركت أنني ولدت بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية، بعد سبع سنوات من انتهاء الحرب، وبعد أربع سنوات من حرب التحرير، النكبة، وأدركت مدى ارتباطي بهذين الحدثين الدراميين. وبعد ذلك تعلمت في مدارس تل أبيب. وكان والدي يعمل معلما للغة العبرية، وكان رجلا مثقفا، يقرأ كثيرا، وكان معادياً جدا للعنصرية، ويحب السلام".

**(*) سؤال: هل كان ينتمي إلى تيار سياسي محدّد؟**

سارنا: "لا، لم يكن منتميا سياسيا. وهو لم يكن يؤمن بالحركات، ولا بالهستدروت ولا بالحكومة. كان متشككا جدا حيال الحركات السياسية. لقد أحب البشر، وعلمنا التسامح وحسب لا العنصرية، سواء إزاء داخل إسرائيل أو خارجها. وأعتقد أن أختي وأنا كبرنا على هذه الروح. لم نكن ننتمي إلى اليسار وإنما للوسطية الليبرالية، ووالدي كان ليبراليا جدا. لقد كان صغيرا وقصيرا، من الناحية الجسدية، لكنه كان قويا من الناحية الروحانية. وكان معارضا للحكومة دائما، أو ضد القوة التعسفية للحكومة ولمؤسسات مثل الهستدروت. كان يكره المؤسسات القوية.

"بعد ذلك ذهبت إلى الجيش، وكان ذلك في العام ١٩٧٠. وكنت قائد دبابة في سيناء، وشاركت في حرب يوم الغفران في الجبهة السورية. ويسألونني دائما لماذا أذكر هذا الأمر؟، وجوابي أنه عندما تكون في سن ٢١ عاما وتشارك في حرب، ويقتل عدد كبير جدا من زملائك، فإن هذا الأمر، بشكل ما، يقسم حياتك إلى فترتين، حتى الحرب وما بعد الحرب. وهذا أمر ينطوي على أهمية عندي، لأن هذه الحرب جعلتني كارهاً للحروب كوني رأيت أن الحرب هي عكس المجد تماماً. إنها صدمة وفوضى وخراب، وكنت شاهدا على الخراب ولم ينتبني أي شعور بالانتصار أو شيء من هذا القبيل. بعد ذلك عملت في الكنيست مع النائبين أمنون روبنشتاين ومردخاي فيرشوفسكي، من كتلة شينوي. ومنذ العام ١٩٨٠ تقريبا أصبحت صحافيا".

**(*) سؤال: هل درست في الجامعة بعد تسرحك من الجيش؟**

سارنا: "درست العلوم السياسية والعلاقات الدولية في الجامعة العبرية في القدس، وبموازاة ذلك كنت أعمل في الكنيست لدى فيرشوفسكي وروبنشتاين. وشاركت في تأسيس حركة السلام الآن، وكنت ضمن المجموعة المقدسية في اللقاء الأول. وشاركت في اللقاء الأول مع (الرئيس المصري الأسبق أنور) السادات،

وخرجت بانطباع جيد للغاية. لقد التقينا به في الإسماعيلية على ما أعتقد، ليس في القاهرة أو الإسكندرية. وبعد ذلك كنت في 'اللجنة الفلسطينية' للسلام الآن، سوية مع عومير بار ليف، عضو الكنيست الحالي ونجل حاييم بارليف. عندها بدأت تُعقد اللقاءات الأولى مع نشطاء فلسطينيين، مثل زياد أبو زياد، وبعد ذلك التقيت، كصحافي، مع شخصيات ونشطاء فلسطينيين، وبينهم مروان البرغوثي، قبل فترة قصيرة من إلقاء القبض عليه. وألفت كتابا عنوانه 'شاهد ملك'، يوثق ٢٥ عاما من عملي في المناطق (المحتلة)، إذ أنني عملت في صحيفة يديعوت أحرونوت في الانتفاضتين وما بينهما، وتجولت مئات المرات في المناطق، في غزة والضفة، وعرفت مروان وأشخاصا آخرين هناك".

## البداية في صحيفة "حداشوت": كانت أشبه بشاب شقيّ في حارة شيب!

**(*) سؤال: تعمل في "يديعوت" منذ العام ١٩٨٠؟**

سارنا: "منذ العام ١٩٨٦. وعملت قبل ذلك في صحيفة 'كول هعير' التي أسسها (ناشر صحيفة "هآرتس" عاموس) شوكين كصحيفة محلية في القدس. وبعد ذلك عملت ثلاث سنوات في صحيفة "حداشوت". وكانت هذه ثلاث سنوات مثيرة. ومرة اصطحبت معي إلى نابلس الشاعرة داليا رابيكوفيتش كي تلتقي الشاعرة فدوى طوقان. فقد كنت أحاول الوصول إلى الأماكن التي توجد فيها مشاعر، وإلى الأماكن الداخلية للصراع، إلى أكثر الأماكن الشخصية".

**(*) سؤال: كان هذا طبعاً قبل الانتفاضة الأولى؟**

سارنا: "نعم قبل الانتفاضة الأولى. وخلال الانتفاضة الأولى أصبحت أسافر إلى المناطق بوتيرة أكبر، وخلال الانتفاضة الثانية كنت أسافر إلى هناك أسبوعيا تقريبا".

**(*) سؤال: حدثنا عن صحيفة "حداشوت"، قلت إنك عملك فيها وكانت فترة مثيرة.**

سارنا: "لقد كانت هذه الصحيفة بمثابة شاب شقيّ في حارة شيب، إذ إن الصحف الموجودة كانت صحفا قديمة جدا. وفجأة يظهر شاب لا يحسب حسابا لأي أحد، مثل ابن شارع ويكتب ما يشاء. يكتب الحقيقة عن أي شيء، ويصارع على بقائه مع قليل من المال، لأن استثمارات شوكين في الصحيفة كانت تقل. ونحن اصطدمنا بسور من أنماط القراءة، لأن القراء لم يفارقوا يديعوت ومعاريف. وكان العمل في حداشوت يتسم بحرية غير مألوفة كالتي يعرف شوكين منحها لصحافييه. وكان يوسي كلاين محررا رئيسا، والصحافي رينو تسرور الرجل الثاني في الصحيفة. وأنا أذكر أمورا رائعة، فقد كتبت تقريرا حول طفولة أريئيل شارون، ووصلت إلى والدته. لقد وصلت إلى بداية حياته. وذكرت في كتابي، 'شاهد ملك'، أني جلبت أقوال والدة أريئيل شارون، وأن مروان (البرغوثي) حدثني عن والدته. لقد أثار اهتمامي هذا الأمر. وقد أثار اهتمامي أيضا، على سبيل المثال، دافيد بن غوريون وياسر عرفات، لأن كليهما كانا يتيمين من جهة الأم".

**(*) سؤال: وكلاهما لقبا بـ"الختيار".**

سارنا: "'الختيار' في سن صغيرة. وكان الوطن بالنسبة إليهما بديلا للأم. وبنظري، وجدها بن غوريون في الشعب الصهيوني وعرفات في الشعب الفلسطيني. وقد كتبت عن ذلك تقريرا مطولا في '٧ أيام' (الملحق الأسبوعي لصحيفة "يديعوت أحرونوت"). كان ذلك في فترة أوسلو. وفي حينه سافرت إلى القاهرة، إلى المكان الذي كانت تسكن عائلة عرفات فيه، وإلى قبر والده في غزة، وعدت إلى الوراء ووجدت أمورا كثيرة أثارت اهتمامي. وعمليا، فإنه قضى طفولته في القدس، إذ إنه بعد وفاة والدته، زهوة، أرسلوه إلى القدس، إلى خاله الذي كان يسكن في حي المغاربة. والتقيت عرفات شخصيا في نهاية حياته في المقاطعة".

**(*) سؤال: متى صدر كتاب "شاهد ملك"؟**

سارنا: "في بداية سنوات الألفين. وقال أحد ما لي ذات مرة إنه عندما تكون صحافيا وتصبح أديبا لديك مشكلة، وعليك أن تقرر إما أن تكون صحافيا أو أديبا. لكنني هذا وذاك".

**(*) سؤال: قلت إن صحيفة "حداشوت" كانت غير مألوفة في المشهد الإعلامي في إسرائيل. إذن لماذا انتقلت إلى "يديعوت"؟**

سارنا: "انتقلت إلى يديعوت لأنه بعد ست سنوات لدى شوكين، كنت قد أصبحت ولدا كبيرا، في الرابعة والثلاثين من عمري، وكنت بعد زواج أول تفكك، وكنا نكسب القليل جدا من المال. وفي سن الرابعة والثلاثين تقول لنفسك إنني أريد راتبا. وقد أرسلت لي يديعوت عرضا جيدا وانتقلت للعمل فيها. وكان هذا أمرا رائعا، لأنهم سمحوا لي بأن أكتب ما أشاء، ودفعوا راتبا أعلى بكثير أيضا. كذلك اكتشفت أني لا أكتب لصحيفة يقرأها خمسون ألفا، وإنما نصف مليون أو مليون أو حتى مليونا قارئ. لقد كان شعوري مختلفا كليا".

**أن تأتي على مدار مئة عام مجموعة إلى مكان معين لكونها ملاحقة في مكان آخر، هذا أمر يدفع المخاوف إلى مستويات عالية جدا. وهذه ليست مجموعة عادية. إنها ليس مثل مزارع فرنسي يعيش في المكان نفسه مدة ألف عام. والمفترض أن يكون هذا المكان ملجأ لها. وهذا الملجأ هو المكان الذي يرتاح فيه اليهود. والحقيقة هي أنه منذ الحرب العالمية الثانية، لم يعد هناك مكان في العالم يقتل فيه اليهود مثلما يقتلون هنا.**

**(*) سؤال: كيف تعرف نفسك، صحافي استقصائي، محلل...؟**

سارنا: "لست محللا. أنا صحافي استقصائي، بل استقصائي اجتماعي، لأن السياسة بنظري قضية اجتماعية. وأنا أنظر إلى المجتمع الفلسطيني أو إلى المجتمع الإسرائيلي، وإلى ما يحدث في كل واحد من المجتمعين وما الذي يفعله هذان المجتمعان الواحد تجاه الآخر. إنها حكاية مذهلة. أنا صحافي استقصائي، وفي السنوات الأخيرة، حيث لدي زاوية أسبوعية، أفضل في الأسابيع الأخيرة، على سبيل المثال، السفر إلى القدس والالتقاء مع الناس على الجلوس والكتابة في الغرفة. وأعتقد أن الميدان هو أفضل معلم".

**(*) سؤال: ألهذا السبب زرت قرية كفر كنا بعد قتل أفراد الشرطة الشاب خير الدين حمدان؟**

سارنا: "لقد ذهبت إلى كفر كنا سوية مع يوعز هندل (المستشار الإعلامي السابق لرئيس حكومة إسرائيل، بنيامين نتنياهو، ويكتب مقالا أسبوعيا في "يديعوت"). وهم، في هيئة التحرير، يحبون أن أسافر مع هندل وقد طلبوا مني ذلك، إلى جانب أن هذه الواقعة أثارت اهتمامي".

## نتنياهو أخرج "مسألة انعدام الأمن" من إطار الواقع

**(*) سؤال: لكونك صحافيا استقصائيا منذ أكثر من ثلاثين عاما، هل بإمكانك التحدّث عن التيارات العميقة للمجتمع الإسرائيلي؟**

سارنا: "لقد ادعيت على الدوام أن ما حدث هنا أعجوبة هائلة. في الوقت عينه أن تأتي على مدار مئة عام مجموعة إلى مكان معين لكونها ملاحقة في مكان آخر، هذا أمر يدفع المخاوف إلى مستويات عالية جدا. وهذه ليست مجموعة عادية. إنها ليس مثل مزارع فرنسي يعيش في المكان نفسه مدة ألف عام. والمفترض أن يكون هذا المكان ملجأ لها. وهذا الملجأ هو المكان الذي يرتاح فيه اليهود. والحقيقة هي أنه منذ الحرب العالمية الثانية، لم يعد هناك مكان في العالم يقتل فيه اليهود مثلما يقتلون هنا، لأنه منذ العام ١٩٤٥، بالنسبة لمن نجا من المحرقة، بات العالم مكانا آمنا لليهود. لا يلاحقونهم. صحيح أن هناك قصصاً حول العداء للسامية، لكن لا يقتلون اليهود مثلما كانوا يقتلونهم حتى العام ١٩٤٥. لقد تغير العالم، وكان لديه شعور بالذنب. وغيّر العالم تعامله مع اليهود، وربما ساهمت إسرائيل في هذا التغيير أيضا. وبمجيء اليهود إلى ملجأهم هنا والنجاحات التي حققوها، نشأ وضع تراجيدي. لقد نشأ الصراع في هذا المكان، نتيجة لمجيئهم إلى مكان لم يكن فارغا، مثلما ادعوا. وقد جاء اليهود إلى هنا بسبب أمرين لم يتوفرا لهم من قبل. هم لم يأتوا من أجل صنع ثقافة، لأنه كانت لديهم ثقافة، والشتات تحديدا كان مكانا ثقافيا جدا. لقد جاؤوا من أجل تحقيق عاملين كانا ينقصانهم هما الأرض والأمن. هذان العاملان هما اللذان أديا إلى حدوث الصدام هنا. فالحرب على الأرض أدت إلى الصدام مع الفلسطينيين، الذين كانوا يقطنون في القرى هنا والأفندي كان يسكن في بيروت ويجري مفاوضات مع الصهيوني ويبيع الأرض له. وفجأة اكتشف القروي أن الأرض تنسحب من تحت أقدامه. وثقافة اليهود، وتغلغل اليهود الغربيين ومعهم تكنولوجيا متطورة، كانا الأساس للمأساة هنا. إن الأرض هي لبّ الصراع مع الفلسطينيين، والأمن هو شيء ما متملص وبقدر ما نحاول تحقيقه فإننا دائما لا نشعر به. الوضع الآن هو أنه لا يوجد أي جيش حولنا يريد محاربتنا. فالجيش المصري منشغل بشؤونه، والرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، ليس عدوا لإسرائيل. والجيش السوري منشغل

نتنياهو: تجارة الخوف.

بشؤونه أيضا. واليوم لا يوجد أي خطر على إسرائيل. ورغم ذلك، توجد حكومة في إسرائيل تتحدث وكأننا موجودون عشية محرقة. وهذا يعني أن مسألة انعدام الأمن خرجت من إطار الواقع، وتم وضعها فوق رؤوسنا كمقصلة افتراضية ووهمية".

**(*) سؤال: لماذا يفعلون ذلك؟ نتنياهو ينتهج سياسة تخويف الذات هذه طوال الوقت، لماذا؟**

سارنا: "توجد عدة أسباب تقف وراء ذلك، أولها أننا ملاحقون منذ ألفي عام. لكن يوجد هنا استخدام مضلل جدا للواقع، وهذا ما ينفذه نتنياهو وسياسيون آخرون لعدة أسباب. إن أحد الأسباب يتعلق بالمستوطنات. المستوطنون هم مجموعة صغيرة لكنها قوية جدا ومؤثرة جدا على الحالة الإسرائيلية. وهم يريدون استمرار الصراع، لأنه بالنسبة لهم، كأشخاص متدينين، الصراع بين اليهودية والإسلام هو الأساس الأيديولوجي لوجودهم في المناطق (الفلسطينية)، وهذا ليس وجودا سلميا ولا وجودا من أجل التعايش مع الفلسطينيين، وإنما من أجل ديمومة الصراع. كذلك يوجد لوبي قوي جدا في الحالة الإسرائيلية، يتمثل بجهاز الأمن، وهو جهاز ضخم للغاية ويبتلع الأموال بصورة جنونية. وهذا الجهاز معني ببقاء الصراع، وهو مثل لجنة عمال مبنية على وجود الصراع، أذرعها هي الصناعات العسكرية، الجيش، الشاباك، الموساد. وسبب وجود كل هذه الأذرع هو 'انعدام الأمن'. والمجموعة الثالثة هي الرأسمالية الإسرائيلية، وهي مجموعة الأثرياء. وقد كشفت الاحتجاجات الاجتماعية، في العام ٢٠١١، أنه توجد هنا مجموعة ليست كبيرة تربح مبالغ جنونية، ليس مليارات وإنما تريليونات من الأموال الإسرائيلية، وهذه المجموعة تنهب الجمهور. ونتنياهو يصرخ طوال الوقت... نتنياهو مثل ساحر، يخفي شيئا هنا، أموالنا، ويقول أنظروا إلى هناك. كيف يعمل الساحر؟ يوجه انتباهك إلى مكان ما، وفي هذه الأثناء يقوم بخداعك، يسرقك، يخرج حمامة ويدخل حمامة، ويقوم بكل أعماله السحرية. وتحول الأمن هنا إلى نوع من إلهاء للجمهور وصرف أنظاره إلى أمور غير واقعية. وشيئا فشيئا، أخذت هذه الأمور تكبر، واليوم أصبحت الفانتازيا أو الواقع المتخيل أو الافتراضي أقوى حتى من الواقع نفسه. قبل عدة أسابيع ذهبت إلى القدس، وهذا هو المشهد الذي رأيته: في جبل الهيكل، ربما لن يهدموا المسجد الأقصى ولن يتم بناء الهيكل أبدا، ويبدو لي أن هذا أكثر شيء غير معقول. وأما بالنسبة للفلسطينيين فإنه يوجد

**المستوطنون هم مجموعة صغيرة لكنها قوية جدا ومؤثرة جدا على الحالة الإسرائيلية. وهم يريدون استمرار الصراع، لأنه بالنسبة لهم، كأشخاص متدينين، الصراع بين اليهودية والإسلام هو الأساس الأيديولوجي لوجودهم في المناطق (الفلسطينية)، وهذا ليس وجودا سلميا ولا وجودا من أجل التعايش مع الفلسطينيين، وإنما من أجل ديمومة الصراع. كذلك يوجد لوبي قوي جدا في الحالة الإسرائيلية، يتمثل بجهاز الأمن، وهو جهاز ضخم للغاية ويبتلع الأموال بصورة جنونية. وهذا الجهاز معني ببقاء الصراع، وهو مثل لجنة عمال مبنية على وجود الصراع، أذرعها هي الصناعات العسكرية، الجيش، الشاباك، الموساد.**

تهديد حقيقي للأقصى. وهذه أول مرة تسير فيها الحكومة سوية مع المنظمات المتطرفة، أو على الأقل تؤيدها أو لا تتصدى لها. وثمة أمر أبسط من ذلك بكثير، هو موضوع السائق الفلسطيني الذي وجد ميتا في حافلة في القدس. بنظر الفلسطينيين هو قتيل، وبنظر الإسرائيليين انتحر. وهذا يعني أنه لا يوجد اليوم اتفاق على أي جزء من الواقع. وقد أصبحت إدارة الأمور صعبة، لأن كل شيء هو في إطار الحرب على الصورة التي نظهر بها. ومعظم الإسرائيليين لا يؤمنون بأن محمد الدرة قتل بنيران الجنود. وبعد ذلك جرى نقاش حول مقتل فتيين في بيتونيا رغم وجود كاميرات، وفي كفر كنا وثقت الكاميرات مقتل خير حمدان، وبسبب تصوير الواقعة ولأن القتيل هو عربي من إسرائيل يوجد شعور بعدم الارتياح، ورغم ذلك فإني لا أرى أنه ستتم محاكمة شخص ما على ذلك.

"أعتقد أن المجتمع الإسرائيلي مرّ في سيرورة مفادها أن الصراع لم يهدمنا بشكل كامل، فالمجتمع الديمقراطي ما يزال موجوداً هنا، وبالإمكان الكتابة عن أي شيء، رغم حدوث تراجع في الديمقراطية. ومع ذلك لا بُد من القول إن الصراع هو أمر فتّاك للمجتمع، للفلسطينيين ولنا أيضاً، وقد أنتج مجتمعين مسلحين، يؤمنان بالصراع وحسب. وتضاف إلى ذلك، بنظري، عملية النهب داخل إسرائيل والتي أسميها 'الاحتلال ٢'. ففي البداية اكتشفت إسرائيل أن بالإمكان الجلوس على أربعة ملايين فلسطيني، وأن تأخذ منهم المال، وأن تقرر فرض غرامة كهذه أو تلك عليهم، وأن تفعل ما تشاء. وعندما رأى الحكم أن بالإمكان ممارسة هذه الأمور، قرر أن يمارسه هنا في الداخل أيضا. عمليا يوجد اليوم قسم من الجمهور الإسرائيلي، اليهودي، يشبه الفلسطينيين، أي خضع لعملية فلسطنة أو احتلال ويفعلون به ما يشاؤون. يرفعون الأسعار، أسعار الوقود والسيارات والطعام، وأنا أرى بذلك تغلغل الوحشية من المناطق (المحتلة) إلى داخل إسرائيل لأنه لا يوجد خط أخضر. والعرب في إسرائيل يعانون من ذلك، وبرأيي أن يهود إسرائيل يعانون من ذلك أيضا".

**(*) سؤال: بموازاة ذلك هل توافق على مقولة أن إسرائيل قد أصبحت أكثر مسيانية؟**

سارنا: "كتبت مؤخرا أنها تحولت من دولة إلى 'مملكة إسرائيل'. وهم لم يعودوا يقولون دولة إسرائيل، لأن دولة هو مصطلح غربي. إنهم يقولون 'أرض إسرائيل' وأمورا كهذه. وهناك فكرة بناء الهيكل. وأتساءل من يفكر بأمر كهذا؟ هذا جنون مطلق. وقسم من الأفراد هنا هم بنظري نوع من داعش إسرائيلي. ومثلما يريد هؤلاء خلافة فإنهم هنا يريدون مملكة. يوجد بهذا جنون لدى مجموعات معينة، تجر أجزاء كبيرة من المجتمع، وهي أجزاء لا مبالية، تشاهد التلفاز أكثر مما ينبغي أو تقضي وقتها في التجمعات التجارية، ولذلك لم تعد هناك قوة كافية من أجل مقاومة هذه العملية".

**(*) سؤال: قلت إنه توجد مشكلة الآن وهي أن كلا الجانبين لا يتفقان على رؤية الواقع وأن هذا يعمق الصراع. لكن بنظرة إلى الوراء، هل تعتقد أنه كانت هناك فترات في تاريخ الصراع اتفق فيها الجانبان على رؤية الواقع وشكل ذلك اختراقا، ربما مثل فترة أوسلو في العام ١٩٩٣. وإذا كانت هناك فترات كهذه، كيف تم إهدارها؟**

سارنا: "من تجربتي، ومن معرفتي للفلسطينيين، فإنه لم يكن أي شيء في التاريخ يشبه فترة أوسلو. نحن نعرف اليوم المشاكل التي حدثت في أوسلو. ومثلما قال لي (الباحث الإسرائيلي المتخصص

**عمليا يوجد اليوم قسم من الجمهور الإسرائيلي، اليهودي، يشبه الفلسطينيين، أي خضع لعملية فلسطنة أو احتلال ويفعلون به ما يشاؤون. يرفعون الأسعار، أسعار الوقود والسيارات والطعام، وأنا أرى بذلك تغلغل الوحشية من المناطق (المحتلة) إلى داخل إسرائيل لأنه لا يوجد خط أخضر. والعرب في إسرائيل يعانون من ذلك، وبرأيي أن يهود إسرائيل يعانون من ذلك أيضا".**

في المجتمع الفلسطيني) هيلل كوهين، فإن أوسلو كان اتفاقا علمانيا في مكان يدور فيه صراع ديني. لكن رغم ذلك، ما زلت أذكر النظرة إلى الفلسطينيين في الصحيفة، عندما كان هناك شعور بأن عرفات قادم، واختفى نزع الشرعية عنه بقدر كبير. وازداد الشعور بإمكانية التعايش. وكانت هناك أجواء متقبلة للفلسطيني في الشارع، وكان بالإمكان، مثلا، الكتابة عن ابنة عرفات وعن زوجته، وكان هناك نوع من التعارف بين الجانبين. وأكثر شيء أذكره من تلك الفترة، هو لقاء فلسطيني – إسرائيلي في إسبانيا شارك فيه مروان البرغوثي، وعن الجانب الإسرائيلي أعضاء الكنيست حاييم رامون وإيتان كابل واثنان من حزب شاس. كان هذا في منتصف التسعينيات. وعندما عدنا وقعت عملية تفجيرية، وكان الأمر بمثابة مشهد من يوم الحساب. وانقلبت الأمور رأساً على عقب. وكنت في ذلك الوقت أدخل إلى أماكن فلسطينية، مثل مخيم بلاطة في نابلس، وألتقي وأتحدث مع نشطاء ومسلحين كان الشاباك يبحث عنهم ويطاردهم. لكن الشعور حينذاك كان أنه لا يوجد في إسرائيل من يمكن أن نروي له ما نراه في الجانب الفلسطيني، حول إمكانية التحدث معه، وحول رغباته وتطلعاته، لأن هذا كان مثل أن ترى مخلوقا من الفضاء وبعد ذلك تروي قصته. واليوم أيضا، عندما أعود من المناطق، فإن صورة الفلسطيني بنظر الإسرائيليين والحقيقة هما أمران منفصلان ومتباعدان للغاية. وأذكر أنه عندما كنا، أنا والمصور، نريد الدخول إلى قرية ما، كان يوقفنا الجنود المدججون بالسلاح، ويسألون كيف أننا لا نخاف من الدخول إلى هناك. في الحقيقة لم نخف، لأنه كلما كان لديك سلاح أكثر تكون خائفا أكثر. وهذا أمر مذهل. كنا نتجول وندخل حتى إلى بيوت عزاء بعد مقتل نشطاء من حماس. وكانوا يستقبلوننا. واضح أنه كان هناك غضب لديهم أحيانا، لكن كانت تجري محادثة بيننا دائما. وهذه أمور لا يعرفها الناس هنا. ونحن موجودون في بلاد مساحتها صغيرة، وحتى أنها أصغر من أصغر ولاية في الولايات المتحدة. وغالبية الإسرائيليين لم تتحدّث أبدا مع فلسطينيين باستثناء أولئك الذين شغّلوهم، كما أن غالبية الفلسطينيين، وهي من الجيل الشاب، لم تر إسرائيليا، وهذا يعني أنهم نجحوا في إقامة سور هنا قبل أن يبنوه".

## بيريس أقل استقامة من رابين

**(*) سؤال: لنعد إلى فترة أوسلو التي أحيت آمالا. ما الذي قطع هذه العملية؟ هل هو اغتيال رابين أم ثمة شيء آخر؟**

سارنا: "أذكر عدة أمور تسببت بقطع هذه العملية. أحد هذه الأمور المجزرة في الحرم الإبراهيمي في الخليل التي ارتكبها باروخ غولدشتاين. والجمهور لا يذكر دائما ترتيب الأحداث. هذه المجزرة أدت إلى سلسلة عمليات تفجيرية في حافلات إسرائيلية. وأذكر محاولات مروان البرغوثي من أجل ضبط النشطاء كي لا تكون هناك ردود فعل، لكن في لحظة معينة يأتي رد الفعل، وبعد ذلك يأتي رد فعل من جانبنا. وقوات الجيش منتشرة في المناطق... إن من وضع نهاية لأوسلو هم المسلحون من كلا الجانبين. شهوة (رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في حينه شاؤول) موفاز في الأيام الأولى للانتفاضة. وهناك فيلم إسرائيلي بعنوان "مليون رصاصة" حول سهولة تدهور الأمور نحو العنف. وقد كتبت في كتابي 'شاهد ملك' عن رابين عندما جاء إلى بيت ليد بعد وقوع عملية تفجيرية هناك. والناس ينسون أن الأمور جرت بحسب معادلة العين بالعين والسن بالسن، وأن كل هذا

**والـيـوم أيـضـا، عندما أعـود مـن المناطق، فـإن صـورة الفلسطيني بنظر الإسرائيليين والحقيقة هما أمران منفصلان ومتباعدان للغاية. وأذكر أنه عندما كنا، أنا والمصور، نريد الدخول إلى قرية ما، كان يوقفنا الجنود المدججون بالسلاح، ويسألون كيف أننا لا نخاف من الدخول إلى هناك. في الحقيقة لم نخف، لأنه كلما كان لديك سلاح أكثر تكون خائفا أكثر. وهذا أمر مذهل. كنا نتجول وندخل حتى إلى بيوت عزاء بعد مقتل نشطاء من حماس. وكانوا يستقبلوننا. واضح أنه كان هناك غضب لديهم أحيانا، لكن كانت تجري محادثة بيننا دائما.**

بدأه المتعصبون. وهنا، أذكر لحظة معينة، وهي عندما لم يضبط (رئيس حكومة إسرائيل بعد اغتيال رابين، شمعون) بيريس نفسه وأصدر أمرا باغتيال يحيى عياش، وبعدها تفجرت موجة أخرى من العمليات التفجيرية. ولقد عمل جهاز الأمن الإسرائيلي والأجهزة المسلحة الفلسطينية في حينه بصورة أوتوماتيكية، وهي تعمل بموجب مسارها ووتيرتها. وأعتقد أنه يوجد أكثر مما ينبغي من المعارضين لاتفاق ما. واتفاق إسرائيلي – فلسطيني يخيف الكثيرين. وفي إسرائيل، كان هناك رجل مستقيم اسمه رابين، ورجل أقل استقامة بكثير اسمه بيريس. وأذكر أنه عندما اغتيل رابين، التقى الوسيط النرويجي، تيري رود لارسن، مع عرفات. وكان عرفات يبكي وجسده يرتعد. وبعد ذلك حضر الملك حسين إلى جنازة رابين، وقال لأحد ما هنا إن الأمور انتهت، وإن موت رابين هو موت السلام. وكانوا يثقون برابين وبكل كلمة يقولها، وبحق. وقد أدرك الملك حسين من الاتصالات الهاتفية الأولى التي أجراها مع بيريس أنه لا يوجد أحد في إسرائيل يمكن التحدث معه. وعندها، دعا نتنياهو وليس بيريس إلى زيارة عمان، عشية الانتخابات العامة في إسرائيل. وقد بدا الأمر هنا غريبا جدا. لكن على ما يبدو اعتقد حسين أن نتنياهو شاب وربما يصنع شيئا. لقد أخطأ الكثيرون في فهم نتنياهو وإسرائيليون كثيرون انتخبوه".

**(*) سؤال: في تلك الفترة رفض بيريس تنفيذ انسحاب من الخليل بموجب اتفاق أوسلو، ونفذ نتنياهو هذا الانسحاب بعد انتخابه رئيسا للحكومة.**

سارنا: "نتنياهو يعرف كيف يفعل ذلك. إنه يعطيك ١٠٠ شيكل كي يأخذ منك ١٠٢ شيكل".

**(*) سؤال: معظم مفترقات الطرق التاريخية في شؤون الحرب والسلام كانت نتيجة قرارات اتخذها زعماء إسرائيليون. تأسيس الدولة تم بموجب قرار دافيد بن غوريون، والسلام مع مصر تم بموجب قرار اتخذه مناحيم بيغن، وأوسلو تم بموجب قرار اتخذه رابين، وخطة الانفصال عن غزة تمت بموجب قرار اتخذه أريئيل شارون. هل تعتقد أنه توجد الآن أزمة قيادة في إسرائيل، بمعنى أنه لم يعد يوجد زعماء مثل هؤلاء؟**

سارنا: "بكل تأكيد. منذ أن تولى ايهود أولمرت رئاسة الحكومة لم تعد الأمور تسير بنجاح. وهو تحدث كثيرا حول اتفاق مع الفلسطينيين لكن لم ينتج عن ذلك أي شيء. ونحن نرى ما يفعله نتنياهو الآن. لقد كان شارون الزعيم الأخير، رغم أنني عارضته منذ أن كنت جنديا في (اجتياح) لبنان. وكان هذا الإنسان الذي، من الناحية السياسية، كرهته حقا. وظهر في نهاية حياته كزعيم وحيد قادر على صنع شيء هنا برؤية تاريخية. وانتهى هذا الأمر. وأعتقد أن هذه شخصيات لم يعد موجود مثلها هنا. والسيناريو الذي أراه هو أنه بعد ٢٥ عاما، ربما يكون هنا دي كلارك عندنا ومانديلا عندكم. هذا جائز. لكنني لا أرى زعماء في السنوات القريبة. إننا في ورطة شديدة. كذلك فإن إسرائيل كانت تجري مفاوضات مع حركة فتح في الماضي، لكن في هذه الأثناء تأسست حركات جديدة، مثل حماس وحزب الله. وحزب الله يبدو معتدلا قياسا بداعش وقبله تنظيم القاعدة. والأمور تتدهور بسرعة كبيرة جدا. وهذا يعني أنه كلما ازداد التطرف، كلما تقلص الزعماء، وذلك في وقت تحتاج فيه إلى زعيم أكثر من أي وقت مضى. أنت بحاجة الآن إلى ديغول. وديغول كان الرجل الذي توقعوا منه أن

**"نعم. لقد اكتشفت فجأة أن جـديّ، اللذين لم ألتق بهما لأنهما ماتا في المحرقة في بولندا، يشبهانني أقل من هذا الرجل الذي كاد أن يكون جدي. لقد كان صحافيا، واهتم بالسلام مع الفلسطينيين، وتجول في العالم، وأحب أن يكون في باريس. وقد شعرت فجأة بعلاقة نفسية معه. واكتشفت فجأة أنه يفكر مثلي من الناحية السياسية، وشعرت بقربى كبيرة منه. لديه منطق وعقيدة. ومرة كنت أنزل في فندق بارا بالاس في اسطنبول، وكان البيت الذي سكنه سامي قريبا جدا من الفندق وكنت أتخيل أني سألتقي به.**

التطرف الاستيطاني: تجليات خطرة في القدس.

يحل أزمة فرنسا في الجزائر بالقوة، فنفذ الحل بأن أخرج الجزائر من فرنسا، رغم كل الخطر الذي هدد حياته ومعارضة الجيش له. ولا أرى حاليا أي شخصية كهذه هنا".

## بناء الهيكل كان دائماً صنو الخراب!

**(*) سؤال: كتبت روايات أيضا، وروايتك "عميل مشبوه" كانت أيضاً وثائقية. حدثنا عنها. توجد فكرة قوية فيها، وهي أنه من أجل أن تحقق الحركة الصهيونية نجاحا، يتعين عليها أن تتعاون مع الحركة الوطنية الفلسطينية.**

سارنا: "لقد اكتشفت هذا الرجل لأن والدتي تزوجت من ابنه، إميل، قبل أن تتزوج من والدي. وقد سمعت منها عن شخصية الرواية سامي هوخبرغ، الذي توفي في الفترة التي ولدت فيها والدتي، في العام ١٩١٧. سامي هو من أوائل الصهاينة الذين وصلوا إلى نس تسيونا في نهاية القرن الـ١٩. وقد أدرك بسرعة أنه لن يكون مريحا له هنا بسبب العمل الشاق، ولأنه أحب الحياة الرغيدة. وعندها بدأ بالتجوال في العالم، والتجارة بالأراضي. وبعد ذلك أصبح مدرسا في مدرسة 'إليانس' في إيران، ثم وصل إلى اسطنبول. والفترة المهمة في حياته كانت عندما عمل إلى جانب (زعيم التيار "التصحيحي" اليميني في الحركة الصهيونية زئيف) جابوتينسكي، الذي أسس شبكة صحف. وقد أدرك الصهاينة في مرحلة مبكرة أن ثمة حاجة إلى رأي عام عالمي مؤيد لهم. وقد حاولوا كسب تأييد الأتراك، لأن الأمور في تركيا كانت تسير بالبقشيش، والسلطنة العثمانية كانت في نهايتها. وعندها انتقل الصهاينة إلى التأثير في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما. لكن سامي كان لا يزال يركب على الحصان التركي وآمن، ربما لأنه كان يفهم اللغة العربية ولأسباب أخرى، أنه ينبغي التوصل إلى اتفاق. وعندها حضر، كصهيوني وحيد، المؤتمر الدولي الفلسطيني، الذي عقد في باريس وحاول إحضار مقترحات من الحركة الصهيونية. لكنه لم يكن مندوبا رسميا عن الحركة الصهيونية. لقد كان يقوم بدور تلمس الوضع في الحركة الوطنية الفلسطينية، مثل الدور الذي لعبه رون بونداك ويائير هيرشفيلد في أوسلو. وكان يأمل أن الحركة الصهيونية كلها ستسير في أعقابه. وأعتقد أن الحركة الصهيونية لم تهتم بهذا الأمر في البداية، ولم تدرك أهمية ذلك. وهي لم تكن مستعدة للتضحية من أجل ذلك، وإنما كانت تركز على شراء الأراضي هنا وضخ الأموال. ومعظم قادتها كانوا صحافيين أو أشخاصا أوروبيين انشغلوا في بناء المستعمرة. وكانت هذه فترة استعمار. ونتيجة لذلك تجول سامي في القاهرة وبيروت في الفترة التي كان يعدم فيها الأتراك محاربي الحرية العرب.

وبإمكانك أن ترى أن الحركتين الوطنيتين الفلسطينية والإسرائيلية ولدتا معا، وشحذت كل واحدة منهما نفسها على الأخرى، وكان هذا أشبه بشحذ سكين بسكين. وربما لو أننا لم نأت إلى هنا لكانت طبيعة الفلسطينيين مختلفة. ونحن كنا سنكون مختلفين من دون شك. ويوجد شيء ما في هذا الصراع الذي خلق هذا الانشطار بين المجموعتين. خطة هوخبرغ للسلام موجودة. وكان يقول دعونا نعمل سوية مع الفلسطينيين ونستغل التكنولوجيا التي نحضرها من أوروبا ونطور البلاد".

**(*) سؤال: هل أردت أن تنعكس أفكار هذه الشخصية على الحاضر؟**

سارنا: "نعم. لقد اكتشفت فجأة أن جديّ، اللذين لم ألتق بهما لأنهما ماتا في المحرقة في بولندا، يشبهانني أقل من هذا الرجل الذي كاد أن يكون جدي. لقد كان صحافيا، واهتم بالسلام مع الفلسطينيين، وتجول في العالم، وأحب أن يكون في باريس. وقد شعرت فجأة بعلاقة نفسية معه. واكتشفت فجأة أنه يفكر مثلي من الناحية السياسية، وشعرت بقربى كبيرة منه. لديه منطق وعقيدة. ومرة كنت أنزل في فندق بارا بالاس في اسطنبول، وكان البيت الذي سكنه سامي قريبا جدا من الفندق وكنت أتخيل أني سألتقي به. أحيانا يكون حوارنا مع الماضي مريحا جدا. لقد عرفت فيصل الحسيني، وهو أقرب إلي أكثر من إسرائيليين كثيرين، برؤيته وتفكيره واعتداله الهائل. وهذا إنسان لا أزال أفكر بأني أجري معه محادثة. أحيانا تكتب شيئا ما وتتلقى تعقيبات تقول 'اذهب إلى غزة، وليقتلوك هناك'. لا يوجد حوار بيني وبين هؤلاء. ومن الجهة الأخرى، بإمكاني أن أذهب إلى اسطنبول، أو إلى نابلس، وأجري حوارا".

**(*) سؤال: وكتابك الجديد "٢٠٢٣"؟**

سارنا: "إنه ديستوبيا، نوع من أدب النهايات. وقد راودتني فكرة هذا الكتاب عندما كنت في مدينة أكسفورد، التي أسافر إليها كل عام من أجل الكتابة هناك، وألتقي دائما مع (المؤرخ الإسرائيلي) آفي شلايم. إنه رجل لامع. وخلال ساعة واحدة كتبت فكرة الكتاب. وهي قصة أب مسن وابنته الصغيرة، يخرجان من هذه الشقة، التي أسكن فيها منذ فترة طويلة. وشخصية الأب هي عمليا أنا. وهما موجودان في إسرائيل التي عادت لتكون مثل العام ١٩٤٨، ويسكنها ٦٠٠ ألف نسمة، وغالبية السكان غادرت، وبقي سكان في كيبوتس هنا وقرية عربية هناك، قرية على غرار جسر الزرقاء. ووالدة البنت غادرت البلاد بحثا عن والدها. وبعد ذلك الأب والبنت يذهبان من هنا، من تل أبيب التي أصبحت فارغة من السكان، إلى جسر الزرقاء، حيث يتواجد بحار يهودي وآخر عربي، يعدان لهما زورقا سيحاولان الوصول به إلى قبرص عن طريق البحر الهائج. أنا لا أعتقد أن إسرائيل ستفرغ من السكان في العام ٢٠٢٣. وإنما هي فارغة من الأمور التي تهمني أكثر من وجود ثمانية ملايين إنسان هنا. الأمر المهم ليس العدد وإنما المضمون. من جهتي، ليكن عدد السكان ثلاثة ملايين ويؤلفون الكتب ويتحدثون فيما بينهم. ماذا يساعدني أنه يوجد هنا ١١ – ١٢ مليون يهودي وعربي يأكلون بعضهم. وهذا الكتاب هو تفكير في المكان الذي يفرغ من غايته، ومن فكرة أن يعيش الأفراد هنا مثل البشر، فهذا أمر آخذ بالاختفاء".

**(*) سؤال: كيف وصلت إلى الرقم ٢٠٢٣؟**

سارنا: "بالصدفة. لقد راودني وحسب. وتبين لي لاحقا أنه في العام ٢٠٢٣ ستكون قد مرت ٧٥ عاما على قيام إسرائيل وخمسون عاما على حرب يوم الغفران. لم أنتبه لذلك في البداية. وأعتقد أنه إذا ما استمر اليهود المتدينون المتعصبون في محاولة تحريك الأقصى وبناء الهيكل، فإن قصة إسرائيل ستنتهي، لأنه في كل مرة تم فيها بناء الهيكل جاء الخراب. ويجب أن يكون الهيكل موجودا في الرأس وليس مصنوعا من الحجر. وعموما، الأنظمة التي تبدأ في بناء مبان ضخمة جدا، فإنها تفعل ذلك عندما تواجه مصائب. ولذلك فإنني أعتقد أنه إذا أصررنا على الذهاب في طريق الدين، فإن هذا المكان سيكون مصيره الخراب".

**(*) سؤال: قرأنا نقدا كثيرا لهذا الكتاب، وهناك من ربطه بالاحتجاجات الاجتماعية التي جرت في صيف العام ٢٠١١. وقبل شهور كانت هناك احتجاجات تدعو إلى هجر إسرائيل لصالح برلين.**

سارنا: "بالطبع. برأيي أن مجرد حقيقة أنه يسكن اليوم في برلين ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف إسرائيلي شاب، وهم متعلمون وغالبيتهم تعمل في مجال الموسيقى والكتابة والأفلام، هو فشل لتل أبيب. يتعين أن يكونوا هنا. فإذا غادرت الروح، ما الذي يتبقى؟ وأرى بمحاولة (وزيرة الثقافة والعلوم الإسرائيلية) ليمور ليفنات وقف التمويل لسينماتك تل أبيب لأنه يعرض أفلاما فلسطينية وأفلاما حول النكبة، أمرا غير صائب. فإذا لم يتم عرض مثل هذه الأفلام فإنه لا جدوى من هذا المكان. وإذا رحلت الروح من هنا، فإن ما سيكون، كما أسميتها مرة، 'إمارة غاز'. سيكون هنا غاز ونفط والثقافة سترحل. وأعتقد أنه في هذه الحالة، هذا المكان لن يكون ملائما لكي يعيش فيه أولادي. وقد قرأ الكثيرون أمورا بهذه الروح كنت قد كتبتها وتزعزعوا منها، وهذا أمر محزن جدا. وبعد ذلك قال لي (الأديب الإسرائيلي) حاييم غوري، وهو آخر الصهاينة، إنه

**مجرد حقيقة أنه يسكن اليوم في برلين ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف إسرائيلي شاب، وهم متعلمون وغالبيتهم تعمل في مجال الموسيقى والكتابة والأفلام، هو فشل لتل أبيب. يتعين أن يكونوا هنا. فإذا غادرت الروح، ما الذي يتبقى؟ وأرى بمحاولة (وزيرة الثقافة والعلوم الإسرائيلية) ليمور ليفنات وقف التمويل لسينماتك تل أبيب لأنه يعرض أفلاما فلسطينية وأفلاما حول النكبة، أمرا غير صائب. فإذا لم يتم عرض مثل هذه الأفلام فإنه لا جدوى من هذا المكان. وإذا رحلت الروح من هنا، فإن ما سيكون، كما أسميتها مرة، 'إمارة غاز'.**

'قرأت ما كتبته وبكيت. جعلتني أقرأ هذه الرؤية القيامية وأنا في سن ٩١ عاما، هل حقا أنت مؤمن في هذا؟'. وأجبت أنه إذا استمر الوضع كما هو الآن فإني أعتقد، وربما ليس في العام ٢٠٢٣، أن هذا المكان سيفرغ من مضمونه".

**(*) سؤال: هل تعتقد فعلا أن استمرار الوضع الحالي سيدفع الإسرائيليين إلى الرحيل؟**

سارنا: "سيبحث الشبان والمثقفون والأشخاص الذين لديهم حاجة روحانية عن غايتهم في مكان آخر".

**(*) سؤال: أنت لا تقصد ناحية التعصب الديني فقط وإنما غلاء المعيشة أيضا، أليس كذلك؟**

سارنا: "هذا صحيح، والأمور تسير سوية. إنه النهب، الذي أسميه 'الاحتلال ٢'، هذا الاحتلال الداخلي من جانب المجموعة الصغيرة التي تسيطر على كل شيء هنا وتتعامل معنا مثلما يتعامل شرطي حرس الحدود مع الفلسطيني عند الحاجز العسكري. وأعتقد أن جزءا كبيرا من الجمهور يعيش في حاجز عسكري ما".

**(*) سؤال: صدرت عدة كتب ديستوبية في أعقاب حرب تشرين/ أكتوبر العام ١٩٧٣، من تأليف أدباء مثل عاموس كينان وبنيامين تموز. وبعد ذلك خفّت حدّة هذا النوع من الأدب.**

سارنا: "أعتقد أنه يوجد في جينات اليهودي هذا الخوف من حصول كارثة. ونتيجة لذلك، بإمكانك أن تقرأ أمورا من هذا النوع طوال الحالة الإسرائيلية. ومن الجهة الأخرى، يبدو أن كل شيء يزدهر، أو ينجح وأنه لدينا أقوى جيش وأقوى اقتصاد. لكن السؤال هو ما الذي يحدث في الداخل، في هذه النواة الروحية الداخلية. فالأمور لا تقاس بعدد المجمعات التجارية".

## لن نقترب من جنة عدن إلا إذا استوعبنا أن هذه الطريق تقود إلى جهنم!

**(*) سؤال: لقد تحدثنا حتى الآن عن أمور سوداوية، لأن هذا هو الوضع السائد. كيف ترى المستقبل، ألا ترى بصيص ضوء؟**

سارنا: "الضوء الوحيد هو أن الأمور ستصبح أسوأ كي يتحسن الوضع بعد ذلك. وفي اليهودية أيضا يؤمنون أن عليك أن تنزل إلى حضيض عميق من أجل أن تخرج منه. فاليهود يقولون دائما إن العرب يفهمون لغة القوة فقط. لكن اليهود أيضا يفهمون لغة القوة أيضا. وطالما أننا لا نتلقى ضربة، وطالما أننا لا نستوعب أن هذه الطريق تقود إلى جهنم، فإننا لن نقترب من جنة عدن. وضعنا يتدهور منذ اغتيال رابين. وبإمكان يغئال عمير أن يرى نفسه منتصرا. والضوء لن يحدث الآن، وإنما بعد ٢٠ أو ٢٥ عاما. وأعتقد أن حل الدولتين لم يعد مطروحا، فهو لم يعد واقعيا كما أنه ليس قابلا للتنفيذ".

**(*) سؤال: لماذا؟**

سارنا: "بسبب المستوطنات، وصورة تداخلنا، إسرائيليين وفلسطينيين، ببعضنا البعض، وانعدام الوحدة الاقتصادية بين غزة والضفة، أي أنه يوجد وحدات صغيرة أكثر مما ينبغي ويتعين إدارتها، ووضع الشرق الأوسط، حيّنا المتوحش. وفي المستقبل البعيد، الذي أراه، ستكون هنا دولة واحدة ثنائية القومية، وهذا أمر عارضته دائما في الماضي. وهذا وضع لن يحدث بسهولة، ولن يكون مريحا في البداية. وأعتقد أن المستوطنين نجحوا في قتل حل الدولتين. والتمسك الآن بحل الدولتين هو أمر مريح لكن لن ينتج عن ذلك شيء. وأشبه الفلسطينيين والإسرائيليين بأنهما مثل

مقاتلي سومو يعانق أحدهما الآخر ويطعنان بعضهما بسكاكين، ونتيجة لذلك فإن دمهما يمتزج وعرقهما يمتزج. ونحن، الفلسطينيون والإسرائيليون، أكثر مجموعة تعرف نفسها في العالم العربي، وعندما نلتقي أحيانا خارج البلاد، يكون اللقاء مؤثرا. مرة التقيت أنا وزوجتي مع شاب فلسطيني في برلين، وبمجرد أن التقى بنا قال: أنتما إسرائيليان. وقال أيضا إنه في برلين يكون أقرب شيء للإسرائيليين اليساريين".

## نحو الأبارتهايد!

**(*) سؤال: أنت تصف الشرق الأوسط بأنه "حي متوحش"، بينما يقول إسرائيليون كثيرون إن هذه الدولة هي "فيللا في الغابة"، وهذا يضع مشكلة اندماج إسرائيل في الشرق. وقد جاءت إلى البلاد جهات غريبة كثيرة وحاولت إقامة كيانات هنا ولم تندمج، وفي نهاية الأمر قضي عليها. هل تعتقد أن إسرائيل تريد الاندماج في الشرق الأوسط أم البقاء والعيش على أسنّة الحراب؟**

سارنا: "أعتقد أن هناك حالة انفصام ما بين الرغبة بالاندماج والرغبة المضادة، خاصة وأن خمسين بالمئة من السكان هنا هم مهاجرون من الدول العربية، وقسم منهم يرون أنفسهم أنهم جزء من الشرق، رغم أن هناك من حاول في البداية منعهم من هذا الشعور. لا يوجد خيار أمام الإسرائيليين. فالبلدان العربية نفسها تمر في عملية تغيير في تعريف نفسها، وجميعنا منشغلون الآن في إعادة تعريف هويتنا. وقال لي آفي شلايم مؤخرا إن اتفاقية سايكس – بيكو تتفكك الآن. وهذا يعني أننا لسنا الوحيدين الذين نواجه أزمة هوية. ولا أعتقد أن الدول تختفي. وإسرائيل باقية، لأننا لسنا موجودين في عالم الصليبيين. وما يهمني هو كيف ستكون، وأن تكون مكانا يطيب العيش فيه، ومن أجل تحقق ذلك يتعين عليها أن تحيا بصورة جيدة مع محيطها. لا يوجد شعب محتل حر. وقد كتبت مؤخرا: خذوا مني جنسيتي لأني أتألم مما يحصل للفلسطينيين، وعندها أعتبر بنظرهم إرهابيا. وأن تقول اليوم إنك تتألم بسبب مقتل طفل يعتبر خيانة بنظرهم. أحد أصدقائي قال لي أن تكون لديك مشاعر إنسانية هي خيانة. وهناك من يكتب لرئيس الدولة، رؤوفين ريفلين، أمورا رهيبة تعقيبا على أمور أساسية جدا، كان الرئيس الأسبق، إسحق نافون، يقولها من دون أن يعقب أحد عليها. إننا نمر بتغير سريع جدا للأسوأ".

**(*) سؤال: هل تعتقد أن سلسلة القوانين العنصرية والمعادية للديمقراطية ستؤثر على الإسرائيليين؟**

سارنا: "إنها تؤثر، وهي أشبه بتلويث الجو ووجود كم هائل من الغازات السامة في الجو. فجأة يحرقون هنا غرفة في مدرسة في القدس لأنه يتعلم فيها أولاد يهود وعرب. هذه القوانين تغيّر قواعد اللعبة كلياً".

**(*) سؤال: إلى أين يريدون الوصول مع هذه القوانين؟**

سارنا: "يريدون الوصول إلى مكان يسميه البعض أبارتهايد، وآخرون يسمونه الفاشية. إنهم يريدون الوصول إلى سيطرة مطلقة على الوضع. السيد ليبرمان يقترح على عرب يافا الانتقال إلى فلسطين، علما أن ليبرمان هاجر إلى هنا من مولدافيا، وهو نفسه يزور مولدافيا طوال الوقت، وهو نفسه يسكن في فلسطين (كمستوطن). وهذا يعني أن كل هذه الأمور تثير الارتباك".

## إسرائيل و"داعش"!

**(*) سؤال: هناك تقديرات بأن اليمين الإسرائيلي يتبنى عقيدة شبيهة بتلك الموجودة لدى اليمين في أوروبا، وتستند إلى أمرين، محاربة الهجرة والإسلاموفوبيا (الرهاب من الإسلام). ما رأيك؟**

سارنا: "هذه الأمور تسير معا وتسمى كسانوفوبيا، أي الخوف من الآخر. وهذا ليس الخوف من المسلمين فقط، وإنما أيضاً من الأثيوبيين داخل الدولة. وبعد كل هذا يتحدثون عن العداء للسامية. أنا أرى بتنظيم داعش أنه مجموعة أخرى تشارك في هذا الصراع، وحتى أنها نشطة وفعالة لأنها تعرف مخاوفنا. فأنت تقطع رأس شخص وترى أن هذا عمل يؤثر على الجميع. لكن عفوا، أنا كابن لشعب قتل ٢١٠٠ شخص في غزة أخيراً، أتساءل: هل يجوز لنا أن ننحي باللائمة على داعش جراء ما يقوم به بينما نحن بأنفسنا نمارس القتل؟. وحقيقة كوننا نفعل ذلك (القتل) بواسطة طائرة لا بسكين أو فأس، هل تجعلنا أكثر إنسانية؟ إنها تجعل القتل أكثر أوروبية وحسب".